

صرخن ثم سكتن

إرادة شاكرا

هكذا بدأت وأحدت تصرخ والأخرى تجيب ثم ابتعدت نظراتي إلى الأخرى تضع الوسادة تحت راسها يملل وكأنها تكلمها ثم بسرعة حولت نظراتي إلى الأخرى تسارع لنلا ينقطع الكهرباء وتحول سمعي إلى لثي تسارع في تجميع الماء. انتبهت إلى الأفكار التي تجمعت في رأسي من ماذا وإلى ماذا!

هكذا هكذا كان لقائي بأحد المعارف يمتلىء البيت بالبنات هناك من ودعت الزواج والأخرى تصارع الأفكار فيه والأخرى غارقة في الملل الذي يشدها نحو الكابسة وواحدة لا تعرف كيف تبدأ بالتفكير وإلى أين تنتهي والأم تبدو مجاهدة بغسل الملابس ونشرها على الحبال قبل حلول الظلام.

وستار أكاديمي في التلفزيون يعلن نتائج الاساتذة في النوميوني فهناك من يتابعها والساعات تمضي بسرعة على الاسلاك الشائكة لإعلان نتائج الانتخابات وكيف ستبدأ امتحانات نصف السنة وكيف ستنتهي وعطلة نصف السنة كيف نقضيها!

...وتحدثت مع إحدى الجارات رايت التحدي في عينها والدمعات تدفعها بنبرات صوتها متحدية الهموم والمصاعب التي تواجهها لاكمال دراستها بالبحث عن مدرسة قريبة لكي تبقى واقفة بدون سلاسل وقضبان تريد الحرية... في الدراسة... إبداء الرأي... في الاختيار... وفي كل مجالات الحياة...

نهضت لأودع حزني وأقول مضت الهموم كن مستعدت للوقوف يدا بيد لأن الصيف قادم... وأي صيف... ودوران العجلة مستمر في اللوحة التي انتهت من رسمها...

الراكبين في الباص. وعندما تصل إلى عملها تأخذ دور الطبيبة إذا كانت مؤهلة للقيام بهذه الوظائف. وتأخذ دور الشاري إذا ذهبت للشراء من السوق. ودور المريضة إذا ذهبت للطبيب. وهكذا. ولا تتعارض هذه الأدوار مع بعضها البعض لأنها تجري بالتعاقب. فما إن ينتهي دور حتى يبدأ آخر. ويصبح الدور متطابقاً اجتماعياً إذا كانت ردود أفعال إداثة متساوية لدى جميع أفراد المجتمع. وبكلام آخر إذا أدرك الفرد الذي يحتل مكانة معينة بأن لدى جميع الناس نفس التوقعات حول ما ينبغي عليه سلوكه في دوره. فأنا أمام حالة من انسجام الدور أما إذا لاحظنا بأن توقعات الآخرين ومتطلباتهم من الدور تختلف وتتعارض فأنا أمام حالة من تعارض الدور. وتواجه النساء حالات عديدة من تعارض الأدوار وتناقضاتها. ويرجع السبب في ذلك إلى نظرة المجتمع إلى المرأة. فمهما احتلت المرأة من أدوار يظل يلاحقها دورها كأنثى الذي في كثير من الأحوال يتعارض مع الأدوار الأخرى. فالطالبة الجامعية مثلاً. يتوقع منها المجتمع أن تنجز تحصيلها الجامعي بنجاح وحصولها على وظيفة تلائم تخصصها. وهذا ما هو متوقع من الطالب الجامعي أيضاً. لكنه بسبب كونها أنثى ينظر إليها المجتمع بأن تكون ربة بيت جيدة وزوجة صالحة وأم لأولادها وهذا ما يتعارض أحياناً مع دورها كطالبة جامعية. وفي دراسة قديمة بهذا الخصوص أجرتها عالمة الاجتماع الأمريكية ميركو مرفسكي على عدد من الطالبات الجامعيات صرحت أحدهن: تعتقد أمي بأن من المناسب أن أكون انيقة في الكلية. إذ لا يكلف هذا كثيراً. وتنصحنني أن أكون ذكية ورفيعة مع الشبان. أما أبي فإنه يطلب مني دراسة الحقوق. لإعتقاده بأنني سأكون محامية ممتازة. فالأم في هذا المثال تتوقع أن تحصل ابنتها على الزوج المناسب. والأب يريد لها أن تكون محامية. وقد بينت الدراسة في مجال العلاقات بين الجنسين بأن أغلب الشبان لا يفضلون الشابات الذكيات. بل إن بعضهم لا يعتقد بأن المرأة يمكن أن تكون ذكية. وقد بينت بعض من عينة البحث بأنهن وجدن حل الصراع بين دور الجامعية المؤهلة والأنثى الرومانسية بأن أخفين قابلياتهن العقلية أمام الشبان. وقالت أحدهن: أنا مخطوبة إلى شاب جنوبي لا يعتقد بأن المرأة يمكن أن تكون ذكية. وينجذب نحوي كلما يراني قليلة الفهم. ولهذا تركه يشرح لي الأشياء بكثير من التفاصيل. ومن التقنيات التي استخدمتها بهذا الخصوص أقوم بتهجي كلمة طويلة بسرعة وبصورة غير صحيحة. مما يجعل خطيبي يموت من الضحك ويسألني، هل حقاً يا عزيزتي لا تعرفين كيفية تهجي هذه الكلمة؟ فإذا كانت الولادة تحدد المرء ما إذا كان ذكراً أو أنثى. إلا أن على هذا ترتب نتائج تتعلق بشخصيته تبقى معه طول حياته. فالمجتمع يفرض على المرأة من خلال مكانتها الاجتماعية والدور الذي تقوم به أخلاقيات وقيمه والسلوك المتوقع منها. وكما أن لكل مكانة هيبته الاجتماعية التي قد ترتفع أو تنخفض بحسب تقييم المجتمع لها والتي يمكن قياسها تجريبياً. فإن هيبة النساء في أغلب المجتمعات أوطأ بكثير من تلك التي للرجال.

